جميعاً كانوا جازمين بكونه من كلام البشر . والتحقيق أن يقال أنه
كان في المخاطبين من يعرف الحق وينكره عناداً وهؤلاء لا سبيل إلى
محاجتهم . وفيهم الجازمون بأنه من كلام البشر وكان مقتضى الظاهر
أن يقال لهم وإذ كنتم جازمين بأنه من كلام البشر فأتوا بسورة الخ
إلا أن غير النظم الكريم لأجل ما ذكر أولاً من الاعتبارات . وفيهم المرتابون
حقيقة وكان مقتضى الظاهر أن يقال لهم وإذ كنتم في ريب مما نزلنا الخ لأن
إنه إنما تستعمل في المعاني المحتمل المشكوك وإذا تستعمل في المعاني
المحقق المجزوم بوقوعها . إلا أن اقتضى الحال قصد تعيير المخاطب عن
الشرط فجيء بإن ليؤدى بها هذا المقصد الحكيم والمعنى القويم . وتوضيح
ذلك أن كونهم في الريب أمر مقطوع به وكان يناسب إذا لكنه جيء
بإن لقصد توبيخ المخاطب عن وقوع هذا الشرط منه واعتقاده إياه
وتفهيمه أن المقام لاشتماله على ما يقلع الشرط من أصله لا يصلح إلا
لفرضه كما يفرض المحال لغرض من الأغراض . والمحال وإن كان يناسب
الإتيان بإذا أيضاً لكونه مقطوعاً بعدم وقوعه لكن استعمال أن فيه
شائع كثير لتنزيله منزلة المحتمل المشكوك على سبيل المساهلة وإرخاء
العنان لقصد التبكيت وإسكات الخصم وإلزامه . فالإتيان بإن
أفاد لما ترى فائدتين لطيفتين الأولى تنزيل الشرط منزلة المحال
لما قام من الأدلة على نفيه لقصد التوبيخ . فكأنه قيل إن الريب في المنزل

Copyright © King Saud University